الفصل السابع

«الورطة»

أمريكا.. وما حدث في أفغانستان!! !!

في ٥ نوفمبر من عام ٢٠٠٨ قامت القوات الأمريكية بالاشتراك مع القوات البريطانية في قلعة "جانجي" في مزار شريف في أفغانستان بقتل ٤٥٠ أسيراً مكبلين من خلف ظهورهم.. القتلى كانوا قد سلّموا أنفسهم للأمم المتحدة وليس للولايات المتحدة.. وقد نقلت صورهم القناة الثانية الفرنسية.. وشهد هذه المذبحة بعض مراسلي الصحف منهم مراسل"صنداي تايمز" الذي وصفها بأنها كانت على قدر كبير من الوحشية.

اعتبر "هنري كلارك" وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هذه المذبحة بأنّها جريمة حرب.. وذكر أنّه لم يحقق في هذه الجريمة لأنّ الكل يخشى أن يوصف بالإرهاب إن دافع عن حقوق هؤلاء الأسرى؟

وقتلت الإدارة لأمريكية في حربها لأفغانستان في الفترة من ٧ أكتوبر إلى ٣ ديسمبر عام ٢٠٠١م «٣٧٦٧ » قتيلاً من الأطفال والنساء والشيوخ والعزل من المدنيين.. هذا ما ذكره البروفسور الأمريكي "مارك دبليو هيرالود" من جامعة "نيوهامشير".. إضافة إلى تدمير آلاف القرى.. وهدم المنازل.. وخروج الملايين من بلادهم بحثاً عن الأمان؟

وهذه بلا شك إحصائية متواضعة عن عدد قتلى المسلمين من الحرب الأمريكية لأفغانستان.

الورطة

بعد الإعلان الأمريكي عن عجز تجاري بلغ خلال شهر أغسطس ٢٠١٠ بلغ فقط ٤٦,٣ بليون دولار.. نتذكر «القاعدة» التاريخية التي تقول أن:

"الإمبراطوريات حين تنهار يبدأ انهيارها بالتدهور الاقتصادي"

.. وهو ما جرى قديماً مع الإمبراطورية الرومانية.. فتوسع الإمبراطوريات ودخولها في مغامرات عسكرية وعلى جبهات عدة.. يورط الاستراتيجيين ويدفعهم إلى الانتقال من ورطة إلى أخرى.. وهو ما يذهب بسماتهم الشخصية المميزة هم وحضورهم الدبلوماسي الذي كان أيام العز والجاه.. مرهوب الجانب ومسموع الكلمة.. فأمريكا بكل عنفوانها اليوم رهينة بشكل مباشر أو غير مباشر

للتعاون الباكستاني معها في استمرارية الحرب في أفغانستان.. أو في الخروج من المأزق الذي هي فيه.. فوجود أخطر الجماعات المهددة لأمريكا في مناطق القبائل الباكستانية.. أو في وجود طالبان أفغانستان الذين يقاتلون القوات الأمريكية.. التي تتهم الباكستانيين بالتنسيق معهم بشكل مباشر أو غير مباشر.. كل ذلك يعزز الحاجة الأمريكية لباكستان سلما أو حربا.

فشل الاستراتيجية الأمريكية في أفغانستان تجلى بشكل واضح بعد وصول أوباما[1] للحكم.. وذلك بنقل المعركة إلى باكستان.. واستهداف حلفائهم من الجنود الباكستانيين في مناطق القبائل المتاخمة لأفغانستان.. وما نجم عنه من إغلاق باكستان لحدودها أمام قوافل الإمداد الدولية في أفغانستان التي تحارب «القاعدة» وطالبان.. وهو ما أعاد للسياسيين والخبراء نظرية "زحف الحروب" أيام فيتنام.. حين نقلت واشنطن المعركة إلى كمبوديا ولاوس.. بعيداً عن فيتنام.. وزحفت معها أيضاً ممارسة عملية اللوم بين «البنتاجون» والبيت الأبيض والخارجية الأمريكية.

وظهر أيضاً أن الخسارة الأمريكية لم تعد في أفغانستان.. بعد أن كشفت استطلاعات الرأي في باكستان عن تقدم العداء الباكستاني لأمريكا على عداء الشعب الباكستاني للعدوة التقليدية الهند.

---

(١) باراك حسين أوباما « مواليد ٤ أغسطس ١٩٦١» وهو الرئيس الحالي ويحمل رقم ٤٤ للولايات المتحدة الأمريكية منذ ٢٠ يناير ٢٠٠٩.. وأول رئيس من أصول أفريقية يصل للبيت الأبيض.. حصل على جائزة نوبل للسلام لعام ٢٠٠٩ نظير مجهوداته في تقوية الدبلوماسية الدولية والتعاون بين الشعوب.. وذلك قبل إكماله سنة في السلطة.. تخرج من كلية كولومبيا بجامعة كولومبيا وكلية الحقوق بجامعة هارفارد.. وكان من أوائل الأمريكيين من أصول أفريقية يتولى رئاسة مجلة هارفارد للقانون.. كما كان يعمل في الأنشطة الاجتماعية في شيكاغو قبل حصوله على شهادة المحاماة.. وعمل كمستشار للحقوق المدنية في شيكاغو.. وقام بتدريس مادة القانون الدستوري في كلية الحقوق بجامعة شيكاغو في الفترة من ١٩٩٢ إلى ٢٠٠٤ حاز على ثلاث فترات في مجلس الشيوخ بإلينوي وذلك في الفترة من ١٩٩٧ إلى ٢٠٠٤. وعقب محاولة غير ناجحة للحصول على مقعد في مجلس النواب عام ٢٠٠٠ رشح نفسه لمجلس الشيوخ عام ٢٠٠٤. واستطاع أن يحوز على مقعد بالمجلس في مارس ٢٠٠٤. واستطاع بهذا الفوز جذب انتباه الحزب الديمقراطي.. في الانتخابات العامة التي جرت في ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ استطاع أن يهزم المرشح الجمهوري جون ماكين.. ونصب رئيساً في ٢٠ يناير ٢٠٠٩.

التخبط الحاصل في السياسة الأمريكية إزاء أفغانستان وباكستان.. وتباين المواقف بين «البنتاجون» والبيت الأبيض والخارجية الأمريكية يعكس بشكل واضح وجلي مدى الخلاف والتباين في تقويمات كل طرف للأوضاع الأفغانية.. خصوصا مع تعهد دول أوروبية بالانسحاب من أفغانستان.. وهو ما أعطى رسائل سلبية للجنود الأمريكيين وغير الأمريكيين الذين يُقاتلون في أفغانستان من أن المعركة على وشك النهاية.. وبالتالي لا جدوى من التضحية ومن القتال ما دام الكل يحزم حقائبه.

ومنذ بدء عملية "الحرية الدائمة" إثر هجمات سبتمبر٢٠٠١ وحتى اليوم بلغت خسائر القوات الأمريكية في أفغانستان ما لايقل عن ألف قتيل.. وأضعافهم من الجرحى..

فماذا كسبت أمريكا؟

لا شيء!!

إيران تتحدى.. وتدخل بثقلها؟

أما مسألة الحديث عن هزيمة أمريكية محتملة في أفغانستان.. وما تشير إليه بعض التحليلات من كون حركة طالبان في تطور.. وصعود حقيقي.. في الوقت الذي تفقد فيه جيوش الأطلسي عامة وأمريكا خاصة سيطرتها على مناطق متزايدة الاتساع من البلاد.. وتتراجع إلى حدود بعض المدن الرئيسية.. مبددةً ما تبذله من جهد ميداني.

لاستعادة المبادرة أو تحقيق نوع من التوازن.. يُفرض وضعاً من الثبات العسكري يكبح طالبان ويجبرها على البحث عن حلول وسط سياسية.. تخرج أمريكا من مأزق أفغانستان دون أن تعرضها لهزيمة كالتي سبق لها أن عرفتها خلال حرب فيتنام.

وإذا افترضنا أن هذا صحيحاً.. يبقى سؤالٌ آخر:

هل هناك دول لها مصلحة في هزيمة أمريكا وحلف الأطلسي على يد طالبان؟.. وهل لإيران تحديداً مصلحة في وصول طالبان إلى السلطة من جديد؟..

وهل تلتقي مصالح روسيا والصين على ضرورة إلحاق هزيمة عسكرية بأمريكا.. تُعيد طالبان إلى الحكم في كابول؟.

هذه الأسئلة تطرح نفسها في ضوء ما يقال عن دور إيراني يقوض الجهود الأمريكية.. العسكرية والسياسية.. في أفغانستان أو يُربكها.. ودور روسي وصيني يعمل على إخراج واشنطن من هناك.. وذيلها بين ساقيها.. كما يقال.

قبل الإجابة على هذه الأسئلة.. هناك حقائق لا سبيل إلى إنكارها.. هي أن إيران ترى علاقاتها مع طالبان باعتبارها جزءاً من صورة أكبر يعينها التجاذب الدائر مع واشنطن.. وسعيها لجمع أكبر عدد من أوراق الضغط على أمريكا في يدها.. تستخدم إيران ورقة طالبان من أجل تسوية خلافاتها مع واشنطن لصالحها.. في مجال جغرافي.. سياسي أكبر بكثير من المجال الأفغاني.. وليس لأنها تريد عودة طالبان إلى السلطة في كابول.. خاصة وأن هذه العودة ستثير مصاعب كثيرة في وجهها.. بسبب ما يعرف عن طالبان من تشدد مذهبي.. وتمثله من خطورة على طهران ودورها: في الصراع الدائر اليوم على قيادة العالم الإسلامي.. ويكاد يكون محوره إيران ومكانتها منه هذه القيادة.. كما في سعي أطراف دولية مختلفة.. على رأسها أمريكا.. لشق هذا العالم مذهبياً وإيقاع فتنة واسعة بين طرفيه: السني والشيعي.. تمنح واشنطن قدرة هائلة على التدخل في صراعاته.. دون أن تكون طرفاً مباشراً فيها.. مثلما هو حالها اليوم.

في الحالة الأولى.. ستكون طالبان رأس خنجر مغروس في ظهر طهران.. ومصدر خطر محقق عليها.. وطرفاً مباشراً في أي عمل ضدها.. وفي الحالة الثانية جزءاً فاعلاً جداً من الطوق المضروب حولها.

وبما أن إيران تعي هذا وتخشاه.. فإنها تضغط على أمريكا بورقة طالبان.. دون أن يصل تأييدها لحركتها درجة الموافقة على انتصارها على أمريكا وعودتها إلى السلطة في بلادها.. لأن ذلك سيمنحها ثقة خطيرة بنفسها وبإمكاناتها ضد أي كان.. وسيشجعها من جديد على التحرش بطهران.. كما سبق لها أن فعلت عام ١٩٩٥ عندما كادت أن تجرها إلى حرب.. بعد أن تبادلت معها التهديدات

والحشود العسكرية.. وأدانت بلغة استفزازية الإسلام الإيراني واعتبرته خروجاً على الدين من الكفر السكوت عليه أو التعايش معه.

بدورهما.. تخاف روسيا والصين انتصار طالبان على أمريكا.. لأن انتصارها يضعهما أمام قوة سيصعب عليهما قهرها.. هزمت أعظم قوى العالم سلاحاً وتقنية.. وأكثرها عدوانية ونزوعاً إلى الحرب.. لن تتهاون في تفجيرهما من الداخل.. عبر إثارة مسلميهما ضد حكومتيهما غير الشرعيتين.. بما أن جنوب روسيا يشبه برميل بارود قابل للاشتعال إسلامياً.. والصين متورطة في صراع خطير الأبعاد مع مواطنيها الأنجور.. بدأ مؤخراً يأخذ طابعاً مسلحاً.. فإن قيادات البلدين.. التي تخشى هزيمة أمريكا في أفغانستان.. صرحت أكثر من مرة أنها لن تسمح بانتصار طالبان.. بل إن رئيس روسيا وافق قبل أيام على مساعدة حكومة كابول الأمريكية ضد التمرد.. بينما امتنعت الصين عن تقديم دعم واسع لأعداء أمريكا المقاتلين.. ورأت.. شأنها في ذلك شأن روسيا.. في حرب أمريكا هناك ضربٌ من الدفاع عن أمنها الداخلي.. يجعل من مصلحتها إما هزيمة طالبان أو هذا أفضل.. استمرار الحرب لمدى طويل تستنزف خلاله قوى الطرفين المتقاتلين.. يستحسن أن ينتهي بانتصار أمريكي يبقي العناصر العلمانية والإسلامية المعتدلة في الحكم.. ويخرج أفغانستان من رهانات الأصولية الإسلامية.

هل لأوروبا مصلحة في هزيمة أمريكا.. بينما تُقاتل قواتها في إطار حلف الأطلسي تحت قيادة عسكرية وسياسية أمريكية؟.. أم هل يريد العرب انتصار طالبان وحليفتها «القاعدة».. التي تقاتل اليوم في أكثر من موقع عربي.. وتمثل تهديداً يمس بأمن وسلامة معظم الدول والنظم العربية؟.

ماذا يعني تلاشي الرغبة للإقليمية والدولية في انتصار طالبان وهزيمة أمريكا؟.. وماذا يمكن أن يترتب على هذا من استنتاجات؟.

الحقيقة أنه كلما تعاظم خطر انتصار طالبان.. سيتناقص دعم إيران خاصة.. وروسيا والصين عامة.. المقدم لها.. إن كان هناك حقاً دعمٌ يُقدم كما يزعم الأمريكيون..

ثانياً: كلما طال أمد الحرب وتأكدت استحالة انتصار طالبان.. ستزداد ميل قيادتها.. أو أجزاء منها.. إلى التسوية والمصالحة.. أخيراً.. ليست الحرب الحالية حرب انتصار أو هزيمة.. إنها حرب تستهدف تحسين ظروف وأوراق أطرافها.. التي يريد كل طرف منها بلوغ تسوية نهائية تخدم مصالحه وتقوض مصالح خصومه.. تجعل من أفغانستان ما بعد الحرب بلداً ينفرد هو بالنفوذ الأكبر فيه.. أليست هذه هي خطة أوباما.. التي يقول هو نفسه إنها لا تستهدف حل المشكلة الأفغانية عسكرياً.. وتتركز على استخدام القوة لمنع طالبان من العودة إلى السلطة والانفراد بها.. بمنعها من إنهاء الحرب بطريقة تغلب حضورها ونفوذها على حضور ونفوذ بقية الأطراف السياسية والعسكرية المشاركة في الحرب.

من الصعب.. في ظل هذه الظروف وهذه الحسابات.. أن تُهزم أمريكا عسكرياً في أفغانستان.. من الصعب كذلك أن تنتصر طالبان عسكرياً أو سياسياً.. ويرجح أن يصل القتال بجميع أطرافه إلى طاولة مفاوضات لن تهدد نتائجها إيران وروسيا والصين.. أو تضيع جهود الغرب الأمريكي / الأوروبي.. أو تستبعد مشاركة طالبان في السلطة.. بعد حقبة من تعاون الجميع.. في الداخل والخارج.. على نزع أظافرها وأنيابها!.

السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل يخرج الصراع بين أمريكا وإيران عن حساباتهُ ومساراتهُ الراهنة.. المضبوطة جيداً إلى حد بعيد.. فتدعم طهران انتصاراً عسكرياً تحققه طالبان.. يفتح عليها أبواب حرب أمريكية لا تبقي ولا تذر.. أم تعمل أمريكا لتسوية مع طالبان تكون إيران هي الخاسر الرئيسي فيها.. فتمتد الحرب إلى ما لا نهاية في أفغانستان المسكينة؟.

❖❖❖

من أفغانستان إلى ليبيا.. وما زال الإرهاب مستمراً

وقبل أن نبتعد عن ظاهرة الإرهاب.. ودعاوى الولايات المتحدة بشأنه.. ننتقل إلى ليبيا.. وقصف ليبيا.. ونقول هنا أنه مما لا شك فيه أن سياسة الرأسمالية الأمريكية تعد من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور ظاهرة الإرهاب عالمياً.. وما خلفتهُ حتى الآن من دمار.. ومآسي.. وضحايا.. وخسائر مادية للكثير من الدول.

وهذه الظاهرة كشفت عن حقيقة الصورة الوردية التي كانت تختفي وراءها الولايات المتحدة بشعاراتها الزائفة ومزاعمها بتأسيس مبادئ إنسانية وروحية..

فمن غرائب القدر.. أن قضية الإرهاب لم تنشأ إلا بدعم أمريكي حيث تؤكد العديد من المؤسسات الاستخباراتية أن أمريكا دعمت حركة طالبان عبر وكالة الاستخبارات الأمريكية إبان الحرب الأفغانية مع الاتحاد السوفيتي.. ناهيك عن علاقة الوكالة الأمريكية «C.I.A» بالفصائل الإسلامية في كشمير.. وقيام الولايات المتحدة الأمريكية بدعم الفصائل القتالية دفعت المراقبين إلى التحذير من خطورة مثل هذا الدعم الذي تم تسخيره من قِبل بعض الجماعات في تنفيذ عمليات تفجيرية داخل الدول الأوروبية ومنطقة الشرق الأوسط بتخطيط من الطواقم الأمريكية التي قامت بتجنيد خلايا مسلحة تابعة لأجهزة المخابرات الأمريكية لتبقي على أجواء الإرهاب والعنف الذي يرى فيه بوش والبيت الأبيض مكسباً لفرض الهيمنة والسيطرة على العالم وللفوز بالانتخابات الأمريكية التي جرت قبل أربعة سنوات.

وقد ركزت الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية على مد نفوذها الاستعماري إلى العديد من دول العالم.. إما بصورة مباشرة كما في العراق وأفغانستان.. وإما بصورة غير مباشرة كما في أفريقيا وبعض البلدان العربية.. وكان لمنطقة الشرق الأوسط النصيب الأكبر من الاهتمام الأمريكي من خلال تدخلاتها المستمرة في تحديد معالم السياسة الإقليمية لدول المنطقة.

حكاية أمريكا.. وليبيا

في الخامس من أبريل ١٩٨٦ انفجرت قنبلة في "ديسكو لابيل" في برلين الغربية بألمانيا.. مما أسفر عن مقتل جنديين أمريكيين.. وسيدة تركية.. وجرح ٢٢

آخرين.. وفاجأت الولايات المتحدة العالم بإعلانها أنها حصلت على نسخة من برقية أرسلها عملاء ليبيون في ألمانيا الشرقية شاركوا في الهجوم.

كان ذلك بمثابة المبرر الذي صنعتهُ أمريكا لضرب ليبيا بعد مناوشات استمرت سنوات بين الطرفين بسبب المطالب الإقليمية الليبية بشأن خليج سرت.

وفي مارس ١٩٨٦ توغلت البحرية الأمريكية لمسافة ١٢ ميل بحري داخل المياه الإقليمية الليبية.. وأرسلت حاملة طائرات إلى هناك للقيام بمناورات عسكرية.. وكان الرد الليبي على المناورات عدوانياً.. مما أدى إلى أحداث خليج سرت.

وفي ١٥ أبريل ١٩٨٦ قامت ٦٦ طائرة أمريكية انطلق بعضها من قواعد بريطانية بشن غارة.. وقصف بعض الأهداف داخل العاصمة الليبية طرابلس ومنطقة بنى غازي.

لاري سبيكس المتحدث باسم البيت الأبيض وقتها قال أن الهجوم كان يستهدف مواقع عسكرية رئيسية.. ولكن التقارير تشير إلى ان الصواريخ ضربت أيضاً منطقة بن عاشور.. وهي ضاحية مكتظة بالسكان في العاصمة.. كما تم قصف المجمع السكني الذي يقيم فيه الرئيس معمر القذافي.. وقتلت فيه ابنته المتبناة حنا القذافي.. بالإضافة لذلك فقد قتل ٤٥ جندي ليبي و ١٥ مدنياً.

الرئيس الأمريكي آنذاك "رونالد ريجان"[1] برر الهجوم باتهام ليبيا بالمسؤولية المباشرة عن الإرهاب الموجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية والشعب الأمريكي.. وقال في خطابه التلفزيوني الذي أذيع بعد الهجوم بساعتين:

"عندما يتعرض مواطنونا لهجوم.. أو سوء المعاملة في أي مكان في العالم بناء على أوامر مباشرة من أنظمة معادية.. فإننا سنرد طالما أنا في هذا المنصب".

❖❖❖

(١) رونالد ريجان «٦ فبراير ١٩١١ - ٥ يونيو ٢٠٠٤» هو الرئيس الأربعين للولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٩٨١ إلى ١٩٨٩ وقبلها كان الحاكم رقم ٣٣ على ولاية كاليفورنيا من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٧٥ كان يعمل بمجال التمثيل قبل أن يدخل المجال السياسي الذي بدأه في بداية الخمسينيات.. عند وفاته كان مصاب بالزهايمر.. ويعتبر أحد أكبر رؤساء أمريكا عمراً حيث بلغ عمره عند وفاته ٩٣ سنة و١١٩ يوماً.. بالإضافة إلى إنه كان الأكبر حين انتخابه فقد كان عمره حينها ٦٩ سنة و٣٤٩ يوماً.